

## مستويات المثاقفة في النقد

### بين التواصل الحضاري وفعل الاستلاب الثقافي

Levels of critical acculturation between civilizational communication and cultural appropriation

كلية الأدب والفنون جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم- الجزائر	أدب عربي	د. سلس حفيظة* hafidaselles123@gmail.com
DOI: 10.46315/1714-012-001-007		

الإرسال: 2021/01/09 القبول: 2021/06/11 النشر: 2021/01/16

#### ملخص:

ارتبطت عملية المثاقفة بالنشاطات الفكرية للإنسان، في إطار التواصل بين المجتمعات، وهذا ما انطبق على الأدب والنقد، وتمت ممارستها كفعل من طرف النقاد العرب الذين تأثروا في البداية بالمنطق الأرسطي وأعماله، ومن ثم برزت ملامح التثاقف عن طريق الترجمة، وظهرت بوادر التأثير من خلال بروز مجموعة من المناهج، واستمرت الحركة النقدية العربية في تبعية على عدة مستويات.

وأحدث فعل التثاقف نقلة إيجابية من حيث التقدم والانفتاح على وجوه العمل الأدبي، غير أنه في نفس الوقت جعل النقد حبيس الفكر الغربي وخلق صراعا غير منته بين ما هو أصيل ذو مرجعيات عربية، وبين ما هو محدث ذو أصول وافدة غربية.

كلمات مفتاحية: المثاقفة؛ التثاقف؛ التواصل؛ الهيمنة؛ الاستلاب

#### Abstract:

Acculturation has always been linked to human intellectual activity, when it comes to exchanges between societies. This applied to literature and criticism especially. Acculturation was adopted by Arab critics who were at first influenced by Aristotle's works on logic, poetry and rhetoric.

Thanks to translation, the influence of acculturation emerged in a number of methods. This is how the Arab criticism movement became dependant on different levels (references, concepts, methods).

On the other hand, acculturation permitted a great openness to literary work. Nevertheless, it left criticism a prisoner of western ways of thinking and ignited an endless strife between what is genuinely of Arab origins and what it generated with western inspiration.

**Keywords:** Literacy; Acculturation; Communication; Dominance; Alienation.

\* - الباحث المرسل سلس حفيظة: hafidaselles123@gmail.com

## 1-مقدمة (Introduction):

يندرج البحث ضمن البحوث البينية بين مختلف العلوم وعلى أساسها فلسفة النقد والأنثروبولوجيا، إذ يحمل فعل الثقافة بعدين من حيث التشكل، فهو فعل مرتبط بطبيعة الإنسان وسلوكياته وعلاقاته التفاعلية في إطار المجتمع والعالم ككل، وله بعد حضاري حيث يميل الإنسان إلى حب الاكتشاف، وله الرغبة المستمرة في الاطلاع على ما هو جديد ومختلف. وإننا لا ننكر أن النقد حقق من خلال عملية الثقافة كشوفاً مهمة في قراءة النص النقدي والإبداعي، والتي فرضت تطوراً ملحوظاً في المناهج والمفاهيم وطرائق التحليل بشكل قد يعتبره البعض تبعية أو خضوعاً للهيمنة الغربية في هذا المجال كما في غيره من المجالات، وقد يعتبره البعض الآخر عملية تتأقف ضرورية تهدف إلى التحاور والاستفادة؛ وهو ما يفرض إعادة النظر في طبيعة العلاقة التي تربط الثقافة العربية بما هو موروث صامد من جهة، وبما هو كوني عالمي زاحف من جهة أخرى، من أجل تأسيس وعي ثقافي منهجي إيجابي وبناء، وعلى هذا الأساس نطرح الأشكال التالية:

- مال مقصود بالثقافة النقدية ومستوياتها ومبادئها؟
- إلى أي مدى تسهم الثقافة في حركية النقد عامة والنقد العربي خاصة؟
- ما هي انعكاسات فعل التواصل الحضاري مع الغرب على النقد العربي؟

## 2- المنهج وطرق معالجة الموضوع (Methods):

تمتد الثقافة إلى أزمنة غير محددة من حيث البداية والمكان، لأن الإنسان مارسها في القديم كفعل دون مفهومها المعاصر، وإلا لوجدنا أناساً مازالوا يعيشون الحياة البدائية، إذ يعد الانتقال من البدية إلى القبلية ثم إلى مجتمعات صناعية، كما يراها ليفي شتراوس، تحولاً جاء على مستوى البنية والتركيب.

ولعل ممارسة فعل الثقافة بدأ عن طريق التواصل بين المجتمعات البشرية الأولى، وعبر الرحلات التي كان يقوم بها الإنسان من حين لآخر، وهو ينقل أفكار الآخرين، ويتأثر بهم، فعن طريق التواصل الذي يعد أساس عملية الثقافة لما يقوم به من تغيير في بنية وتركيبه الفكري، إذ يحقق التفاعل وينتج عنه التأثير ثم التغيير في الثقافة والفكر، وتنتقل المعارف والمعتقدات والسلوكيات بطريقة انتقائية أو عفوية وأحياناً بصفة حتمية مفروضة بشكل أو بآخر، فتتحدد من هذا المنطلق بدايات الثقافة وأهم الأسس التي تقوم عليها، وبين ثقافة مفروضة وأخرى عفوية إن

صح القول، تتم عبر آلية التواصل ثم التفاعل، ثم التكيف ليحدث التغيير وتصل المثاقفة إلى أعلى مستوياتها وهو الاستلاب.

وأنا نتبع في هذه المقالة مفاهيم المثاقفة وفعل الثقاف معتمدين على المنهج التاريخي ووقوفاً عند أهم المحطات التاريخية التي حدثت فيها عملية الاتصال بين الحضارة العربية والحضارة الغربية ثم نصف ونحلل بؤادر التأثير والتأثر وكيفيات الهيمنة الثقافية وما تركته من آثار على النقد العربي.

### 1. مفهوم المثاقفة ومستوياتها:

يعرف روجيه باستيد "المثاقفة" *Acculturation* بأنها علاقة تفاعلية تطبيقية بين ثقافتين مختلفتين أو أكثر، تنشأ جراء توليد علاقة تتميز بتبادل الخبرات والمعارف، أو انتقالها من حقل منهجي إلى آخر إرادياً. وفي المقابل، يمكن الحديث عن الاستلاب الثقافي أو *Déculturation* الذي يقصد به في الاستعمال المتداول تطور علاقة المثاقفة إلى انسلاخ من الذاتية الثقافية، واعتناق لثقافة الأخر.

والمثاقفة *Acculturation* كمصطلح ظهر في حقل العلوم الإنسانية - في الأنثروبولوجية الأمريكية تحديداً - سنة 1880م، لدراسة التفاعل والتماس الحاصل بين الأنساق الثقافية للمهاجرين الجدد في أمريكا، وأول من استعمله وظيفياً هو العالم الأنثروبولوجي الأمريكي جون ويسلس باوول *John Wesley Powell* المتوفى عام 1902م، وفي سنة 1936م تم اعتماد مصطلح المثاقفة والتعاقد على وضع تعريف له، حيث نجده في التوجه الأنثروبولوجي المرتكز على أعمال ريدفيلد ولينتون وهيز كوفيتش تعريفاً خلاصته: "أن المثاقفة هي مجموع الظواهر والتغيرات الناتجة عن اتصال مستديم ومباشر بين مجموعات من الأفراد من انتماءات ثقافية مختلفة" وقد وصل مجلس البحث في العلوم الاجتماعية عام 1936م في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعريف المثاقفة بأنها: "مجموعة الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية للجماعة أو الجماعات" (عبد الجليل شوقي، العدد: 5207)، يتضح أن المثاقفة ترتبط بعملية التغيير الاجتماعي أي ما تساهم به العناصر الثقافية الدخيلة من عملية التغيير والتحديث" (منسول الصالح وطبال لطيفة، المجلد 10 عدد 02).

في الستينيات، امتد مفهوم الثقاف إلى البعد النفسي، ومن هنا جاء مصطلح الثقاف النفسي (Graves 1967) في علم النفس بين الثقافات، درس بيرى (1976) عملية الثقاف في حالات الهجرة والاتصال بين مجموعتين ثقافيتين مختلفتين: المجموعة المسماة المهيمنة والأخرى غير المهيمنة. في هذه الحالة، يظهر أن الثقاف مصحوب بتغييرات فيزيائية (بيئة جديدة، موائل جديدة، إلخ)،

تغييرات بيولوجية (غذاء جديد، أمراض جديدة، اختلاس، وما إلى ذلك) ، تغييرات سياسية (قوانين جديدة، الواجبات والحقوق)، والتغيرات الاقتصادية (العمل بأجر، وما إلى ذلك)، والتغيرات الثقافية (اللغة، والدين) والتغيرات الاجتماعية (العلاقات بين الأجيال الجديدة والعلاقات بين المجموعات)(.Gakuba, T. & Graber, M. (2012) 351–371).

إن ارتباط الثقافة بالفكر الإنساني، وما يحتويه من تغييرات واختلاف في الرؤى والإيديولوجيات، هو الذي يمنح الثقافة مفهوما مختلفا ذو دلالات متنوعة، إنها تستمد استمراريتها عبر الأزمنة من مفهوم الاختلاف والتعدد، وتقوم في جوهرها على الأزواجية، كما يمكن أيضا أن تظهر النتيجة في شكل الأحادية، حسب ما يرى بعض أنصارها في اتجاهات الثقافة.

تمت الممارسة الثقافية أو كما تسمى فعل التناقص في مستويين: الأول داخلي يظهر في عدة أشكال تتمثل أحد صورها في الهجرة والرحلات التي يقوم بها الأفراد والجماعات، وذلك بأن يتأثر كل واحد منهم بالمكان المضيف فيعود إلى أصله بفكر وثقافة مختلفة، وهذا ما يحدث الثقافة الداخلية، غير أنها خفية، ولا تظهر بالشكل القوي والفعال، لأن الهجرة هي اتصال غير مباشر، وتكمن قوة الثقافة في التواصل.

أما الثقافة الخارجية فتحدث في لحظات الصراع والجدل والاحتدام بين قوتين أو مجموعات بشرية، بنية التأثير أو ما يسمى الثقافة المفروضة فتكون عفوية، مما يشكل لدى الطرفين الرغبة في التناقص وحب التفاعل، وتنتج ثقافة خارجية من حيث التأثير وعفوية من حيث القابلية للتأثر.

تكمن قوة الثقافة في النوع الثاني لأنها تعتمد على التواصل الفعال والجدل والأخذ والعطاء، مما ينتج صراع يؤدي إما إلى قابلية أو رفض فكرة التناقص، غير أنه يتوجب أن يكون المتغيران متساويين في الدرجة وقوة الفكرة، وإلا نتجت عنها أحادية في التأثير، ولعل أهم اللحظات يمكن التمثيل بها والإشارة إليها في علاقة الحضارة العربية الإسلامية مع الغرب، لحظتين:

الأولى لما كانت الحضارة العربية في أوج تطورها، إذ برزت عن طريق الفتوحات وعن طريق الترجمة مظاهر الثقافة من خلال تلقي العلوم اليونانية والمنطق، غير أن التأثير لم يصل إلى درجة الاستلاب، لأن الحضارة تختلف من حيث المرجعيات والأسس، أو نستطيع القول أن الدين كان الباعث على عدم التسليم بما جاءت به الحضارة الغربية.

أما اللحظة الثانية فهي مختلفة من حيث المعطيات الفكرية وقوة الحضارة فبعد سقوط الحضارة العربية، حدثت عملية تناقص أو لنقل بالمفهوم السلبي هيمنة ثقافية وفكرية على

مخلفات الحضارة العربية، بداية بحملة نابليون بونابرت على مصر وبداية حركة الترجمة وهو بداية نوع آخر من عمليات الاستلاب التي تمثل أقصى درجات التثاقف المستمرة إلى يومنا هذا. إذ يرتبط تطور الوعي بالأدوات والاتجاهات، وسيغدو مشروع التثاقف مشروعاً إيجابياً إذا التزم بالحوار الحضاري السليم، وابتعد عن نسخ منجزات الآخر نسخاً عاجزاً، وجاء التثاقف مع الآخر صدمة حضارية لم يقبل بها البعض وهم الأغلبية" (أنيس الحسون، أ، 2017، ص 23).

## 2. أسس ومبادئ المثاقفة

يظهر الجانب الإيجابي للمثاقفة من خلال عدة مبادئ تسهم في استمرارية الحياة الثقافية على الصعيد الداخلي والعالمي ما يجعل الجماعات تبحث عن مكانة لها في مختلف المستويات وأهمها: مبدأ التكافؤ؛ ويقصد به التساوي بين متغيرين من حيث قوة الحضارة والبناء الفكري والثقافي لها، كما يمكن اعتبار كل من العمق التاريخي والديني عاملين مساعدين في تحقيق الكفاءة الثقافية التي تؤهلها لممارسة فعل التثاقف، وستدوب في غياب مبدأ التكافؤ حتماً في ثقافة الآخرين مثلما حدث لبعض الدويلات الجديدة من حيث النشأة إذ تجدها تحتمي إما تحت غطاء الدولة المستعمرة وإما تحت غطاء الدولة المنفصلة عنها حديثاً.

مبدأ الثنائية والاختلاف: يسهم هذا المبدأ في توفير نوع من المنافسة، والتنوع الثقافي الذي يوفر نوعاً من الاحترام والاعتراف المتبادل بالخصوصيات والتعايش والتسامح والتواصل... مبدأ الاستمرارية: إن سقوط الحضارة أو انحطاطها سيؤثر على استمرارية عملية المثاقفة، كما أنها تصبح أحادية لغياب الطرف الآخر، وتسود الهيمنة الثقافية لوقوعها من جهة واحدة، وإذا توقف الانتاج الثقافي سينعكس سلبياً على الثقافة البشرية ككل، لذا تحاول المنظمات العالمية أن تحمي التنوع الثقافي في إطار حوار دائم ومستمر.

مبدأ الرغبة: ويقصد به انفتاح جماعة معينة على ثقافة أخرى مختلفة، والاستعداد الفطري والذهني للقبول والرفض، التأثير والتأثر، ويحقق مبدأ الرغبة الشعور بالاحترام والتعايش بين مختلف الجماعات البشرية، ويساعد على انتشار الثقافات على امتداد زمني غير محدود، تتوارثه الأجيال، وهو المبدأ الذي يزيد من استمرارية المثاقفة، وفي نفس الوقت، يضعف حلقة الهيمنة والغزو لأن الرغبة في الممارسة الثقافية تجعل الطرفين في حالة تصدي لما هو غير متناغم وغير مقبول في ثقافته وهكذا تزول الهيمنة تدريجياً.

إن الهدف من فعل المثاقفة هو تغطية النقص الموجود في الثقافات إذ تعد حركية الثقافة وتلاقح الحضارات عملية أخذ وعطاء بذاتها، من أجل اكتمال النقص، وخير مثال اهتمام بعض الحضارات مثل الصينية واليابانية بالجانب الروحي للإنسان، ومثل الحضارة الأوروبية التي انبنت

على الجانب المادي، وهذا اختلاف في حد ذاته إذ تحتاج كل حضارة الى اكمال كما يرى ول ديورانت " اتحدت طائفتان الدينوية والدينية، وهما متنازعتان عادة، اتحدتا مؤقتا لتتعاونوا على اخراج أعظم ما أخرجته الانسانية من مخترعاتها منذ عرف الإنسان الكلام، نستطيع القول أن تطور الكتابة هو الذي كان يخلق الحضارة خلقا، لأن الكتابة هيأت وسيلة تسجيل المعرفة ونقلها كما كانت وسيلة لازدهار العلم وازدهار الأدب، وانتشار السلام والنظام بين القبائل المتنافرة لكنها متصلة على تنافرها، لأن استخدام لغة واحدة أخضعها جميعا لدولة واحدة، إن بداية ظهور الكتابة هي الحد الذي يعين بداية التاريخ، تلك البداية التي يتراجع عهدها كلما اتسعت معارف الانسان بآثار الأولين" (ديورانت، ول، دت، ص 184).

### 3. المثاقفة فعل اعتراف أم هيمنة

يمكن أن نناقش بعض النقاط التي تبرز المثاقفة في بعدها الايجابي والبعد السلبي وإن كان الاختلاف قائما في الحكم، فما يمكننا اعتباره إيجابيا، يراه البعض سلبيا إلى درجة معينة، والعكس صحيح، فالأخذ من الحضارة الغربية يعود بالفائدة على الحضارة العربية بعد سقوطها، غير أننا لا نريد التركيز على ثنائية الغرب والعرب، الأنا والآخر في هذه النقطة لأنها علاقة جدلية بين أفكار ضلت إلى يومنا هذا محل انتقاد.

يمكننا أن نقف عند بعض القواعد التي تسهل عملية المثاقفة، وتكون إيجابية فأولها الاعتراف بوجود الكائن المختلف " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" سورة الحجرات آية 13، بمعنى أنه يجب في أي ثقافة عدم الانكار بأن هناك من نختلف معه لأن بالاختلاف تتحدد الأطراف المتفاعلة التي تمارس المثاقفة.

أما القاعدة الثانية فهي القابلية للتكيف في ظل ثقافة الاختلاف، لأن التطرف والانغلاق يفسد عملية المثاقفة، فمتى انغلقت جماعة على فكرها بقيت حبيسة ثقافتها، وتبقى الفكرة نسبية لأن أمريكا استطاعت عبر عقد من الزمن، وهي في حالة من العزلة أن تبني ثقافة وحضارة مختلفة وقوية.

أما القاعدة الثالثة فتكمن في قوة الصمود أمام مختلف الثقافات، ففي ظل الصراع المتواصل بنوعيه الثقافات المفروض والعفوى، يجب على كل فئة أو جماعة أن تتمسك بهويتها، وأن تؤمن بثقافتها التي ورثتها، فقط كي لا تذوب في ثقافة الآخر، وبالتالي تتحول عملية المثاقفة إلى عملية هيمنة ثم إلى استيلاء.

تظهر أبعاد المثاقفة السلبية والايجابية ابتداء من هاته القواعد، فغياب مبدأ الاعتراف يجعلها عملية سلبية وتكون أحادية تتعالى فيها الأفكار على الآخرين وتؤدي إلى التطرف أو الهيمنة وكذلك عدم التكيف الذي يحدث بعد عملية التواصل الثقافي يجعل الجماعة تنغلق على نفسها وتفكر في مخرج دائم من سلطة الآخر، وهو أمر يعود بالسلبية على العملية ككل، ثم إن محاولة اختراق القاعدة الثالثة والسيطرة على قوة النظرير الثقافية في ظاهرها تبدو هيمنة وفرض سلطة ثقافية، وتصبح العملية أحادية، غير أنه في الثقافة عامة ستعكس سلبا على الطرفين لأن فعل التغيب للطرف الآخر إضعاف لعملية المثاقفة التي ستصبح كما قلنا ثقافة هيمنة واستيلا.

### 3.1 عالم واحد وثقافات متعددة:

وإذا كانت المثاقفة تنبني على أساس الاختلاف والتكافؤ، كيف يمكن الوصول إلى عالم موحد، وهي الفكرة التي تصبو إليها أغلب الحضارات، حيث تريد فرض ثقافتها لتسود العالم، وهو ما تعيشه البشرية من صراع في ظل التحولات السياسية والفكرية والاجتماعية، وعلى الرغم من طرح فكرة عالم موحد تبقى المثاقفة أو التنوع الثقافي كانشغال رئيسي في مطلع القرن الجديد، عاملاً ايجابياً في حد ذاته، فهو يدلّ على تقاسم الثروة التي تجسدها كل ثقافة من ثقافات العالم، وبذلك يوضح الروابط التي توحدنا جميعاً في سياق عمليات التبادل والحوار.

ويعتبر آخرون أن الفوارق الثقافية هي التي تجعلنا نعجز عن تبين إنسانيتنا المشتركة وهي بالتالي تكمن في جذور الكثير من النزاعات، ويصبح هذا التشخيص الأخير أقوى احتمالاً اليوم مع ما نتج عن العولمة من زيادة في نقاط التفاعل والاحتكاك بين الثقافات أدت إلى توترات وانسحابات ومطالبات تتعلق بالهوية، وبخاصة مما له طابع ديني، أصبحت مصادر محتملة للنزاع، ولذا فإن التحدي الأساسي يتمثل في طرح رؤية منسجمة متماسكة للتنوع الثقافي توضح أن التنوع الثقافي، بدلاً من أن يكون مصدراً للخطر، يمكن أن يفيد العمل على صعيد المجتمع الدولي.

وهذه الفكرة جسدها تقرير عالمي من اليونسكو قد كانت منذ بدايتها مقتنعة كل الاقتناع بالقيمة المتأصلة للتنوع الثقافي وبضرورته، ويتحدث دستور المنظمة (الصادر عام 1945، عن "التنوع المثمر في ثقافات العالم"، ويبقى اليوم هذا الاقتناع على نفس الدرجة من الأهمية كما كان على الدوام، حتى وإن كان تعريف الثقافة قد توسّع كثيراً وإن كانت العولمة قد أدخلت تغييرات هامة على الوضع الذي كان قائماً بنهاية الحرب العالمية الثانية.

وفي النص المعنون العرق والتاريخ" الذي كتبه لليونسكو كلود ليفي شتراوس" في 1952، دلت عالم الانثروبولوجيا الفرنسي على وجوب عدم الاقتصار في حماية التعدد الثقافي على حفظ الوضع القائم" فالتنوع هو نفسه الذي يتعين إنقاذه، وليس الشكل الخارجي المرئي، الذي تلبسه

كل مرحلة لذلك التنوع" لذا فهو ميزة ايجابية ينبغي الفاظ عليا بل هو مورد يجب تعزيره بما في ذلك المجالات البعيدة عن الثقافة بمعناها الضيق" (كوتوكديان، ج، وكوربيت، ج، 2009) .  
لذا يتعين في عالم يسوده التباين الثقافي أن نضع نهجا جديدة ازاء الحوار بين الثقافات تتجاوز حدود النموذج السائد في الحوار بين الحضارات وتشمل مستلزمات ذلك النظر في طرق التواصل بين الثقافات وإدراك أوجه التشابه الثقافي المشتركة والأهداف المتقاسمة وتحديد التحديات التي ستواجهها عملية التوفيق بين الفوارق الثقافية.

وعلى الرغم من أن التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات متناقضان فيما بينهما إلا أنه يمكن التحرك نحو شكل من التنوع المتوافق الذي ينبثق فيه انسجام الكل من التناغم المتأصل في قبول الآخر، فالتنوع الثقافي شرط مسبق للحوار بين الثقافات والعكس بالعكس، وبدون حوار حقيقي لم يعد هناك ما تتغذى به الدينامية الداخلية للتغيير، وهو كما قلنا جوهر المثاقفة، ولا بد من النظر إلى الحوار باعتباره عملية معقدة مفتوحة ومستمرة على الدوام.

### 3.2 فعل المثاقفة وتأثيره على المنهج النقدي:

يقدم " إيف تاديبه لكتابه: " النقد الأدبي في القرن العشرين " بقوله: « إن النقد الأدبي وكذا نظرية الأدب قد شملهما في القرن 20 تحول ملحوظ تحت تأثير العلوم المجاورة مثل اللسانيات والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والفلسفة. وقد ولد التحوار الثقافي مناهج جديدة وضعت حدا لفكرة أن هناك كيفية واحدة للحديث عن النصوص " (إيف تاديبه، ج، 1987).

إن المثاقفة النقدية بين العرب والغرب في تبادل مستمر، وجدل قائم تفسره، ظاهرة الاختلاف على مستوى المرجعيات والمفاهيم والأدوات وحتى طبيعة النص تختلف لعوامل مرتبطة أيضا بشخصية الكاتب في حد ذاته، وهذه الحلقة لن تنتهي لاعتبارات عدة، وهي أن هناك خصوصية ثقافية متباينة من حيث المنشأ والذهنية كما أن العقل العربي مختلف لتشبته بتعاليم الدين الإسلامي فيما تخلى الغرب عن التفسيرات الكنيسية واتجه نحو التفسيرات العلمية.

أما على الساحة النقدية فلا يمكن ضبط اللحظات الأولى التي بدأت فيها عملية المثاقفة النقدية، إلا إذا رأينا النتائج التي ترتبت عليه اذ ظهرت بوادر التأثير ابتداءً بحركة الترجمة على يدي خالد بن يزيد بن معاوية في القرن الهجري الأول، ومروراً بمرحلة ازدهار على يدي الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، ثم بما حدث بعد ذلك في حالات الشقاق السياسي والدويلات المتناحرة في القرن الرابع، وأوضحت طبيعة تلك المثاقفة، وما تركته من آثار في تراثنا.

وكشفت عما آل إليه المشهد الثقافي في "مثقافتنا الجديدة" مع الغرب عقب دخول الحملة الفرنسية إلى مصر عام 1798، وتجلت انعكاساتها على النقد العربي اذ كان النقد يعرف بالانطباعي

ويعتمد اللامنهجية في الطرح وغلب عليه اسلوب الموسوعية، غير أن النقد الغربي الذي تأثر هو كذلك بالعلوم السياقية من علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس ترك بعض البصمات على النقد العربي من خلال دخول بعض المفاهيم وبقي محافظا على الأدوات النقدية التي لم تخرج عن الإطار البلاغي او النحوي وبعض مفاهيم علم الاسلوب.

وقد نقل هذه الفكرة محمد مندور في كتاب النقد المهيج عند العرب، وأسس طه حسين والعقاد لبعض المناهج السياقية وهي المنهج النفسي، التاريخي والاجتماعي، ولعلها تكون أولى الممارسات الثقافية بين النقد العربي والغربي والذي انتج الأحادية، إذ يبدو التأثير بالغرب واضحا إلى حد الهيمنة وهذا راجع إلى النقص الذي شهده النقد العربي على مستوى المفاهيم والأدوات النقدية التي تتماشى مع تلك الفترة، حيث تحتاج البيئة النقدية الى منهج يتماشى مع طبيعة النصوص التي ارتبطت بتحويلات المجتمع والبنى الثقافية في تلك الفترة، ولعل تعدد المناهج في أوروبا ساهم في فهم كثير من الأعمال الأدبية لأن طبيعة النص ووظيفة الأدب ككل لم تبق مقتصرة على أنه شعر ونثر، وإنما تعددت مفاهيمه إلى أنه خزان ثقافي أو أنه انعكاس للواقع، وحالة نفسية يعيشها الكاتب، وهذا لم يكن موجودا المفاهيم في النقد العربي.

غير أن هذا الوافد الجديد على مستوى المفاهيم، لم تتقبله الجماعة التي تتمسك بما قدمته الحضارة العربية من أدوات نقدية، في حين ظهرت جماعة تكتفي بالمقارنة بين ما هو عربي وما هو غربي، وإنما في هذا المقام لا ننقل التحويلات الكبرى للنقد، وإنما نقتصر على ما انتجته المثاقفة بين النقادين العربي والغربي باعتبارهما وحدتين متكافئتين ومختلفتين، وكما قلنا تتحقق المثاقفة في ظل التكافؤ والاختلاف.

### 3- النتائج (Results):

في تحديدها مفهوم المثاقفة النقدية توصلنا إلى أن المناهج العربية والغربية عرفت تنوعا واختلافا من حيث المرجعية والأدوات والهدف وحتى منطقة الدراسة في النص، وإنما نتبع هذه الممارسة الثقافية من بدايتها إلى أعلى درجاتها وهي الاستلاب وفي نفس الوقت تتمثل أشكالها في النقد العربي وبالخصوص المنهج النقدي، انطلاقا من الرأي الذي مفاده أن النقد عملية ثقافية تسعى لبلورة معرفية لا تتخلى في وجهه من الوجوه عن إعادة صياغة أسئلة ثقافية " (أنيس الحسون، أ، 2017 ص 09).

#### 4- مناقشة النتائج (Discussion):

استمر الجدل الثقافي منذ حملة نابليون وانعكاساتها على الأدب والنقد بصفة خاصة، والممارسة الثقافية تتطور وتتغير، من تنوع وتبادل ثقافي إلى تحولات أحادية في الممارسة، وظل النقد العربي حبيس النظريات الغربية، خاصة بعد ظهور المدرسة الشكلية والبنوية، وتبني أفكار سوسير في اللسانيات، وعلى وجه الإجمال تلخص المثاقفة مع الغرب تحولات المناهج النقدية ابتداءً بمناهج الحتمية العلمية، وانتهاءً بمناهج النقد النسائي والنقد الثقافي، وأبرزت تحيّر هذه المناهج إلى سياقها الفكري والتاريخي، وما حدث من اضطراب وخلط في المفاهيم والترجمات من الإنجليزية أو الفرنسية وكذلك تطبيق تلك المناهج على أدب مختلف في النشأة وله سياقه الفكري والتاريخي المغاير، مع الإشارة إلى ما حققته تلك المناهج من كشوفات في تحليل النص إلا أن بعض النقاد يرى أنها انهارت وهيمنة، وأن في مجملها ممارسة ثقافية سلبية، وهم يعللون ذلك على أنه فصام ثقافي وانهار بمنجزات الغرب في حدائته وتحديثه أو كما قال مالك بن نبي كان المبتعثون العرب يعيشون إما في مزاب الغرب وإما في مقابره "أما الثقافة العربية ككل فهي بين فكرتين الأولى ميتة والثانية مميتة".

وإننا لا ندعي نقل الصراع ووجهات النظر المختلفة بين النقد العربي والنقد الغربي، بل نكتفي بحصر ثلاثة آراء أنتجت المثاقفة مع الغرب، تتعلق الأولى بالتشبث بالماضي ومنه التراث بأدواته ومفاهيمه، وأن المستقبل الحضاري والثقافي لا ينبع إلا منه، ومبرهم في ذلك أن قيم التراث العربي الإسلامي تختلف من حيث النشأة والمفاهيم والأهداف، لذلك يحتاج الناقد للعودة إلى الماضي والبحث عن نظرية أو منهج نقدي يتلاءم مع هذه الطروحات، وعلى النظر فئة ثانية سلمت بكل ما هو وافد غربي، وأخضعت النص لمختلف الأدوات والمناهج النقدية الغربية السياقية والمعيارية على تفرعاتها والنظريات المعاصرة مثل الكولونيالية والنسوية والثقافية إلخ، ومبرهم في ذلك أن النص مفتوح على احتمالات عدة، وقراءات متباينة ثم إنها نظريات تتماشى مع روح العصر، أما الفئة الثالثة وهي جماعة تتفاعل مع ما هو وافد وغربي وتمسك بهويتها وحضارتها التي ورثتها، في محاولة منها لانتقال ثقافي مزدوج خوفاً من الهيمنة والاستلاب وطمعا في الاستمرارية واكمال النقص.

ومن أمثلة ذلك محاولة طارق ميتري الذي قدم اطلالة تاريخية على علاقات المسلمين والمسيحيين في أوروبا، مع التركيز على دور الذاكرة الجمعية في صياغة العلاقات المجتمعية المسلمة ومجتمعاتهم المضيفة، كما يطرح رؤيته حول تذبذب الذاكرة الجمعية التي أدت أحيانا إلى التفاهم، وأحيانا كثيرة العداء بين الفريقين" (العظمة، ع، وفوكاس، إ، 2011، ص 42).

إن فكرة المثاقفة النقدية أنشأتها عدة ظروف منها فكرة الصراع الحضاري والتلاقح الثقافي وعلمية النقد وعلميته، فبعد ظهور النقد المنهجي عند العرب، أصبح يمتاز بالعلمية ومن خصائصه أنه يمتاز بالموضوعية، ولا يعترف بالحدود الجغرافي، كما أن التطور الذي شهده العالم الغربي والثورة العلمية التي نشأت في أوروبا جعلت النقد العربي في تبعية مستمرة لكل نتاج ثقافي نابع من وراء البحار ، وعلى الرغم من التحديات التي قام بها العديد من النقاد المغاربة والمشاركة ومحاولات استنطاق التراث بعيدا عن تأثير النظريات الغربية على العموم تبقى مقيدة بالمفاهيم الأساسية للثقافة الغربية .

##### 5- خاتمة عامة (تركيب أو توصيات):

إن ما يمكن استنتاجه من الاشكالات المطروحة أن المثاقفة عملية ارتبطت بالنشاطات الفكرية للإنسان، في إطار التواصل بين المجتمعات، وهذا ما انطبق على الأدب والنقد بصفة خاصة، إذ عرف النقد منذ القديم عملية المثاقفة، وتمت ممارستها كفعل من طرف النقاد العرب الذين تأثروا في البداية بالمنطق، وأعمال أرسطو في الشعر والبلاغة، ومن ثم برزت ملامح المثاقفة عن طريق الترجمة، فظهرت بوادر التأثر من خلال بروز مجموعة من المناهج مثل التاريخي والنفسي والاجتماعي، وهكذا استمرت الحركة النقدية العربية في تبعية على مستوى المنهج والمفاهيم والمرجعيات.

أحدث فعل المثاقفة في النقد العربي تحولات كبيرة خاصة على مستوى المنهج، ونقله إيجابية من حيث التقدم والانفتاح على وجوه العمل الأدبي، غير أنه في نفس الوقت جعل النقد حبيس الفكر الغربي وأحدث صراعا غير منته بين ما هو قديم أصيل وذو مرجعيات عربية وبين ما هو محدث ذو أصول وافدة.

## 6- المصادر والمراجع:

### المصادر:

1. عزيز العظمة فوكاس، وايفي. (2011) السلام في أوروبا التنوع والهوية والتأثير، (الطبعة الأولى) المركز القومي للترجمة.
2. ديورانت، ول. (دت) قصة الحضارة، تر، زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل.
3. إيف ناديه، جان. (1987) النقد الأدبي في القرن العشرين بيروت: مركز الانماء القومي.
4. أنيس الحسون، أحمد. (2017) مقاربات في النقد والمثاقفة، اسطنبول: دار [كيملك يابنلازي](#) للطباعة.

### المقالات:

1. عبد الجليل شوقي. (العدد: 5207) المثاقفة في الدراسات الحديثة. هيمنة ام حوار؟ صحيفة المثقف.
2. كوتوكديان، جورج وكوربيت، جون (2009) الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.
3. منسول الصالح، طبال لطيفة، (مارس 2021) المثاقفة داخل المنظمة من القيم التنظيمية لصناعة الهوية المهنية، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية جامعة وهران 02، المجلد 10، عدد02، 385.
4. Gakuba, T.-O. & Graber, M. (2012). Effets de l'acculturation sur l'apprentissage des étudiants africains dans la Haute École Spécialisée de Suisse occidentale. Revue des sciences de l'éducation, 38 (2), 351–371.